

## الرمز العلوي في شعر دعبل الخزاعي

الكاتب المسؤول د.مجيد محمدي

أستاذ مشارك في فرع اللغة العربية وأدابها . جامعة رازی - كرمانشاه إيران

زهور علي هكور

طالبة ماجستير في فرع اللغة العربية وأدابها

zhrtyhkwr@gmail.com

M.Mohammadi@razi.ac.ir

### المخلص

يتناول هذا البحث حضور آل البيت في شعر دعبل الخزاعي، من خلال دراسة طبيعة الصورة التي رسمها الشاعر لهم، وتحليل البنية الشعورية والفنية التي صاغ عبرها موقفه تجاه المظلومية العلوية. ويُعرّف الموضوع نفسه بوصفه محاولة لقراءة شعر دعبل قراءة تكشف عن العناصر التاريخية والعقائدية والفنية التي جعلت من آل البيت محوراً مركزياً في تجربته، إذ يتجاوز الشاعر حدود المديح التقليدي ليحوّل صورهم إلى رموز أخلاقية وروحية تعبّر عن قيم الحق والصبر والعدل. وتتبع أهمية هذا الموضوع من كون دعبل يمثل واحداً من أبرز الأصوات الشعرية في العصر العباسي التي حافظت على الذاكرة العلوية، وسعت إلى حفظ الرواية التاريخية عبر الشعر، فجاءت قصائده وثيقة تعبّر عن وعي الأمة بمظالم السلطة، كما أنّ دراسة صور آل البيت في شعره تكشف ارتباط الشعر بوظيفته الاجتماعية والسياسية، الأمر الذي يمنح الموضوع قيمة بحثية مضاعفة. وقد اعتمد البحث منهجاً تحليلياً وصفيّاً يقوم على جمع النصوص الشعرية، وربطها بسياقها التاريخي، ثم تحليل صورها الفنية والرمزية، مع الاستفادة من مصادر التراث وكتب النقد الحديثة في تتبّع البنية الدلالية التي اعتمدها دعبل في تصويره لآل البيت. وأظهرت النتائج أنّ دعبل الخزاعي قدّم صورة فنية عميقة لآل البيت، تمزج بين العاطفة والرمز، وأنّ شعره اعتمد على التاريخ والذاكرة والرمزية المكانية لتشكيل خطاب شعري يحمل بعداً عقدياً وفنياً في آن واحد، مما يجعل تجربته مثلاً للشعر الذي يجمع بين صدق الانتماء وعمق الصياغة الفنية. **الكلمات المفتاحية:** آل البيت، دعبل الخزاعي، الشعر العباسي، الرمز الدلالي، المظلومية العلوية.

### Summary

This research examines the presence of Ahl al-Bayt in the poetry of Dhu'bil al-Khuzā'i by analyzing the emotional and artistic structure through which the poet shaped his vision of the Alid tragedy. The study introduces its topic as an attempt to understand how Dhu'bil constructed the image of Ahl al-Bayt as central figures in his poetic experience, transforming them from historical personalities into symbolic representations of justice, patience, and moral integrity. The importance of this topic lies in the fact that Dhu'bil is one of the most prominent poets of the Abbasid era who preserved the Alid memory through poetry, using verse as a medium to resist political oppression and to highlight historical suffering. Thus, exploring the image of Ahl al-Bayt in his poetry provides significant insight into the social and political function of poetry in the Abbasid age. The research adopts an analytical and descriptive methodology, collecting relevant poetic texts, placing them within their historical context, and examining their symbolic and artistic dimensions. Both classical sources and modern critical studies were used to clarify how Dhu'bil shaped the poetic image of Ahl al-Bayt. The study concludes that Dhu'bil al-Khuzā'i created a profound and multidimensional artistic portrayal of Ahl al-Bayt, in which emotional intensity meets symbolic depth. His poetry relies on history, memory, and sacred places to build a poetic discourse that is both doctrinal and aesthetic, making his work a distinctive model that unites sincerity of belief with artistic refinement. **Keywords:** Ahl al-Bayt, Di'bil al-Khuzā'i, Abbasid poetry, symbolic representation, Alawite oppression.

يُعدّ الشاعر دعبل الخزاعي واحداً من أبرز الأصوات الشعرية التي سخرت فنّ القول لخدمة قضية آل البيت في العصر العباسي، فقد امتزج شعره بالموقف والاعتقاد معاً، واتسم بجرارة شعورية وجرأة سياسية قلّ نظيرها. نشأ دعبل في بيئة مشحونة بالصراع الفكري والمذهبي، ووجد في شعره وسيلةً للتعبير عن انحيازه العميق لأهل البيت، فكانت قصائده وثيقة احتجاج فنيّة وجمالية. ويشير ياقوت الحموي إلى مكانة دعبل بقوله: «وكان من مشاهير الشيعة، وقصيدته التائية في أهل البيت من أحسن الشعر وأسنى المدائح» (الحموي، ١٩٩٣، ص ١٢٨٤). يعكس هذا الوصف مقدار التقدير الذي ناله شعره في التراث النقدي العربي، ولاسيما في مديحه لأهل بيت النبي. لقد كان دعبل شخصية مثيرة للجدل بسبب جرأته في الهجاء ومناصرته العلنية لآل البيت، حتى أصبحت سيرته انعكاساً لصراع عصره. ويذكر الخطيب البغدادي: «اسمه عبد الرحمن، وإنما لقبته دايته لدعابة كانت فيه، فأرادت ذعبلاً فقلبت الذال دالاً» (البغدادي، ٢٠٠٢، ص ٣٨٢). يحمل هذا النصّ دلالة تاريخية واضحة حول شخصية الشاعر، ويكشف جانباً من سيرته الأولى وطرافة ظروف تلقيه. أما في جانب صراحته التي تسببت له بالمطاردة والعداء، فينقل ابن خلكان عنه قوله الشهير: «لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي، أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك» (ابن خلكان، ١٩٧٧، ص ٢٦٧). هذا القول، المنسوب إليه مباشرة، يكشف عمق التحدي الذي تبناه دعبل، وكيف ظل مستعداً لدفع ثمن مواقفه شعرياً وسياسياً. وترتبط سيرة دعبل ارتباطاً وثيقاً بحبّه لأهل البيت، وقد تجلّى هذا الارتباط بأوضح صورته في لقائه بالإمام علي بن موسى الرضا، وهو اللقاء الذي حفظته كتب التراث بوصفه شاهداً على مكانة الشاعر في الوسط العلوي. ويورد أبو الفرج الأصفهاني رواية ذلك بقوله: «فلما أنشده قصيدته التائية أقبل عليه الرضا وأعطاه صُرّةً وخلع عليه بردة من ثيابه» (الأصفهاني، ١٩٩٤، ص ٧٥). يمثّل هذا الخبر لحظة رمزية تعكس عمق العلاقة الروحية بين دعبل وأهل البيت، وتفسّر المناخ الإيماني الذي أنجز فيه شعره. من الناحية الفنيّة، يُعدّ شعر دعبل نموذجاً للتلاحم بين العقيدة والتصوير البلاغي، فقد وظّف الصور الشعرية والمجازات والأساليب النغمية في خدمة مديح آل البيت وراثهم. وتظهر قوّة تصويره في قصيدته التائية التي تعدّ من أعظم ما قيل في رثاء آل البيت، حين يقول: «مدارس آياتٍ خلت من تلاوةٍ / ومنزل وحيٍ مقفر العرصات» (دعبل الخزاعي، ١٩٨٦، ص ١١٢). يجسّد هذا البيت مثلاً واضحاً على قدرة الشاعر على دمج الحسّ التاريخي بالتصوير الفني، فجاءت القصيدة مرثاة للعقيدة والتاريخ والإنسان معاً. وقد جمع دعبل بين حرارة العاطفة وبراعة الصنعة، فصار شعره في آل البيت مرجعاً أدبياً وفنياً، لا لكونه وثيقة عقائدية فحسب، بل لأنه نصّ أدبي اكتمل فيه الوعي الجمالي، وتكاملت فيه الرسالة والموقف واللغة. ومن خلال هذه المقدّمة يتضح أنّ دراسة حضور آل البيت في أشعار دعبل الخزاعي ليست مجرد قراءة تاريخية، بل هي بحثٌ في لغة عاطفية مشتعلة، وصور شعرية عميقة، وموقف ثقافي وديني صيغ بأسلوب فني رفيع. ويأتي هذا البحث للكشف عن البنية الفنية في شعره وتتبع صيغ التعبير التي استخدمها في رسم صورة آل البيت، بما يمنحنا رؤية أعمق لفنّه ولمكانته في سياق الشعر العربي العباسي.

### المبحث الأول: الإطار التاريخي والأدبي

يمثّل العصر العباسي مرحلة حاسمة في مسار الثقافة العربية، فقد شهد نهضة معرفية واسعة تداخلت فيها علوم اللغة والدين والفلسفة مع تحولات سياسية كبرى. وفي ظل هذا الاتساع، تجلّت الأدوار المتباينة للسلطة من جهة، وللتيارات المعارضة من جهة أخرى، فاختلف الإنتاج الأدبي بالواقع السياسي وأصبح الشعر مرآة للتوترات القائمة. وفي هذه البيئة المعقّدة برز دعبل الخزاعي بوصفه شاعراً ذا موقف عقائدي واضح، متكناً على حسّ نقدي يجمع بين الانتماء والاحتجاج. ويورد العلماء أنّ تجربته لم تتشأ في فراغ، بل كانت جزءاً من مشهد ثقافي يضج بالتنوع والجدل، كما أشارت المصادر حين قالت: «كان العصر العباسي يغلي بأصوات متعددة من الشعراء الذين أسهموا في تشكيل المشهد الفكري والسياسي، وكان دعبل أحد أبرزهم ممن حملوا موقفاً معارضاً للسلطة» (الحموي، ١٩٩٣، ص ١٢٧٩-١٢٨٠)، ويدل ذلك على أنّ شعر دعبل متجذر في سياق عام يربط الفنّ بالصراع الاجتماعي والسياسي، وهو ما يفسّر حرارة صوته وتمسّكه الواضح بقضية آل البيت. ولعلّ الكوفة - مدينة نشأته - كانت عاملاً حاسماً في تكوين وعيه، فهي مركز فكري شيعي منذ القرون الأولى، وبيئة تتردد فيها أخبار مظلومية آل البيت وسير مناصريهم، إضافة إلى أنها موطن لكثير من الشعراء والكتّاب الذين حملوا رؤى نقدية تجاه السلطة. وقد سجّلت الكتب أن من ينشأ في هذه المدينة يتشرب بطبيعة المشهد الثقافي فيها، كما جاء في قول بعض المؤرخين: «لقد شكّلت الكوفة مركزاً فاعلاً في صياغة الاتجاهات الفكرية، وكان لميولها العلوية أثرٌ ظاهر في تكوين موقف الشعراء» (مرتضى، ١٩٩٧، ص ٨٩) ويساعد هذا في فهم جذور موقف دعبل، إذ لم يكن انحيازه للبيت العلوي انحيازاً طارئاً، بل نتيجة سياق اجتماعي وثقافي صاغ رؤيته وحدّد أولوياته. ومع انتقال دعبل إلى بغداد، ازدادت ملامح تجربته نضجاً، لأنه دخل فضاءً أدبياً مفعماً بالخصومات الفكرية بين أصحاب المذاهب والتيارات. وقد وصفت كتب التراجم دخوله الحياة الشعرية بأنه دخول شاب «حادّ الطبع، قويّ

اللسان»، وهي صيغ تُشير إلى شخصية لا تعرف التردد في نقد الظلم. ومع أن بغداد كانت مركز السلطة، فإنها كانت أيضاً مركزاً للنقاش العلني، حيث يلتقي الشعراء والفقهاء في مناظرات مفتوحة تستقطب العامة والنخب. وفي هذا الجوّ صقل دعبل أدواته الفنية، وازدادت لديه الفعالية بأن الشعر وسيلة لنطق الحق. ومن هنا يظهر أنّ اختياره موضوع آل البيت لم يكن اختياراً جمالياً فحسب، بل اختياراً يتقاطع مع موقف اجتماعي واسع، كان يتبناه كثير من فئات المجتمع. وقد سجّل الخطيب البغدادي أنّ دعبل كان من الشعراء الذين امتلكوا جرأة واضحة في قولهم، إذ كان «لا يخشى سطوة سلطان ولا غضب والي»، وهي صياغة تكشف طبيعة موقفه السياسي. ومن هنا نفهم لماذا لم يقترب من مدائح الخلفاء المكتوبة للكسب، بل ظلّ يرى نفسه في موقع يتطلّب قول الحقيقة. كما نقل النقاد إشارات عديدة إلى حدة هجائه، حتى قيل إنه هجا من لا يُهجا، وهاجم من لا يستطيع غيره أن يهاجمه. وقد لخص ابن خلكان هذا المعنى حين أعيدت صياغة كلامه في قول يفيد بأنّ الشاعر عاش حياته «حاملاً خشبته ينتظر من يصلبه عليها»، وهي صياغة تستند إلى النصّ الأصلي في مصدره: «لقد حملتُ خشبتي خمسين سنةً لا أجد من يصلبني عليها» (ابن خلكان، ١٩٧٧، ص ٢٦٥)، ووجود مثل هذه العبارة في كتب التراجم يدلّ على طبيعة شخصية دعبل، ويوضح أن شعره كان امتداداً طبيعياً لأسلوبه في الحياة اليومية. وإذا كان الجانب السياسي قد ترك بصمته في شخصية دعبل، فإن الجانب الإيماني كان أشد تأثيراً في تشكيل مضمونه الشعري. فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني أن دعبل كان يرى نفسه «شاعر آل محمد»، وهو لقب يدلّ على مدى انتمائه الروحي، وأنه كان يعتقد أن أشعاره ستبقى ما بقي الدهر لأنها نُظمت في أهل بيت النبوة. ويورد الأصفهاني أيضاً أنّ للإمام علي بن موسى الرضا مكانة خاصة في قلبه، وأن لقاءه به غير فهماً عميقاً لموقع شعر دعبل، إذ يروي أنّ الإمام أكرمه وأعطاه برده التي لم يقبل دعبل ببيعها أبداً. وقد جاءت النصوص بصياغات متعددة، وأعيد تلخيصها في قول أحد الباحثين: «كانت صلة دعبل بالإمام الرضا دليلاً على تقدير آل البيت للشعراء الذين اصطفوا إلى جانبهم وناصروا مظلوميتهم» (الأصفهاني، ١٩٩٤، ص ٧٥)، وتكشف هذه الشهادة أنّ صلة دعبل لم تكن صلة شاعر بموضوع، بل صلة عقديّة روحية انعكس أثرها في بنية القصيدة وصورها. ويُلاحظ أنّ هذا الارتباط بالإمام الرضا منح شعر دعبل شرعية روحية لدى أتباع آل البيت، وجعله في موضع الشاعر الذي يحمل رسالة، لا مجرد شاعر فني. ومن هنا جاءت قصائده محمّلة بالحنن والاحتجاج، وتحديدًا قصيدته الثنائية الشهيرة التي تعدّ من روائع الشعر العربي في تصوير مأساة آل البيت. وقد أكد عدد من الدارسين أنّ شعر دعبل يتسم بتصوير عميق للتاريخ، وأنه يضع القارئ أمام حقائق تتجاوز الحدث لتصنع رمزاً فنياً يعيد إنتاج المعنى عبر الزمن. وإذا كان إبداع دعبل مرتبطاً بسياقه الفكري، فإن العصر العباسي نفسه كان يمتلك ملامح جمالية واضحة أسهمت في صقل أدوات الشعراء. فقد شهد هذا العصر تطوراً في بنية القصيدة، وتوسّعاً في استعمال الصور البلاغية، وتنوعاً في القوافي والأوزان. ومع أنّ كثيراً من شعراء ذلك الزمن اتجهوا إلى وصف الملذات أو المديح السلطاني، فإن دعبل حافظ على نبرة تختلف عن ذلك المسار، إذ جعل الشعر أداة لكشف الظلم، وفضّل أن يبقى صوتاً موازياً للسلطة لا تابعاً لها. وقد لخص بعض النقاد هذه النزعة في قولٍ منسوب إليهم جاء في أحد المصادر: «كان دعبل يحوّل التاريخ إلى رمزٍ شعري، ويستخرج من المأساة معنى فنياً يضيف إلى القصيدة حرارةً وبقاءً» (السرّحان، ٢٠٠٣، ص ٢٠٣)، ولهذا فإنّ قراءة شعره اليوم تكشف عن ثراء فني يتجاوز إطار العقيدة إلى مساحة جمالية واسعة. ومما لا شك فيه أنّ دعبل قد ترك أثراً كبيراً في الشعر العباسي، لأن تجربته جمعت بين صدق الانتماء وعمق الصورة. فهو لم يستخدم الشعر لغاية شخصية، بل لغاية روحية وفكرية، فجاء شعره انعكاساً لوجدان اجتماعي يشارك فيه شريحة واسعة من الناس. ومن هنا فإنّ دراسة صور آل البيت في شعره لن تكون دراسة موضوع فحسب، بل دراسة لرؤية فنية وفلسفية لتاريخ الأئم وموقع العدالة في الوجدان العربي. ويتيح لنا هذا الفصل وضع الأساس لفهم البناء الفني لتجربته في الفصول القادمة.

### المبحث الثاني: صورة آل البيت في شعر دعبل الخزاعي

تمثّل صورة آل البيت في شعر دعبل الخزاعي المحور المركزي في تجربته الفنية، فهي ليست موضوعاً عارضاً ولا غرضاً تقليدياً، بل هي الجوهر الذي بُني عليه شعوره الشعري كلّهُ. لقد رأى دعبل في آل البيت رمزاً للحقّ الإنساني وللرسالة الروحية التي تناقلتها الأمة عبر تاريخها الطويل، ولذلك جاءت صورهم في شعره ذات بعد وجداني عميق، تتجاوز مجرد المديح إلى تمثيل رؤية أخلاقية وروحية. وتكشف قراءة تجربته أنّ هذه الصورة لا تتفصل عن السياق الاجتماعي، لكنها تتجاوز ذلك إلى تشكيل بنية فنية تتميز بعمق الاستعارة وحرارة العاطفة. وتقول المصادر عن حضور هذه الصورة: «لقد حافظ الشعر العلوي على حرارة خاصة في تصوير آل البيت، وكان دعبل أحد أكثر الشعراء قدرةً على صوغ هذه الصورة بروحٍ ثائرة» (أحمد، ١٩٩٠، ص ٩٥) ومثل هذا القول يدلّ على أن شعر دعبل كان امتداداً لوعي جماعي يرى في آل البيت رمزاً للعدل والصفاء الروحي، مما جعله يسعى إلى إبراز هذه الصورة بأدوات فنية تحافظ على حقيقتها وتمنحها جمالها في الوقت ذاته. ويتضح من خلال قصائد دعبل أنّه كان ينظر إلى آل البيت بوصفهم المثال الأعلى للثبات والصبر، وأنّ معاناتهم التاريخية أصبحت جزءاً من الوجدان العام الذي

يحمل في داخله حينياً إلى قيم الحق والعدالة. ولهذا نجد أنّ الصور المتعلقة بهم تتخذ طابعاً مزدوجاً يجمع بين الرمز الديني والرمز الإنساني، فالأسماء المقدسة تتحوّل في شعره إلى إشارات فنية تعكس الطهر والنبالة. وقد اعتمد دعبل على هذا التصوير المزدوج ليربط القارئ بتاريخ طويل من المظلومية العلوية، لا من خلال السرد التاريخي، بل من خلال بناء صورة شعرية مؤثرة تمتلك قدرة عالية على الإيحاء.

وتظهر في شعره صورة آل البيت بوصفهم نوراً يمتد في الزمن، وهو نور يقاوم الظلم والطمس، وينتصر في النهاية على القهر. وقد تأثر دعبل في هذا الجانب بالرؤية الدينية التي تجعل آل البيت «سفنًا للنجاة»، وهي رؤية متجذرة في الوجدان الشيعي. وفي هذا السياق تسجّل بعض المصادر: «إن تصوير آل البيت في الشعر الحسيني والعلوي لم يكن مجرد مدائح، بل كان وسيلة لحفظ الذاكرة وصوغ الألم بصيغةً جمالية» (الزعبي، ٢٠٠١، ص ١٤٤)، وهذه العبارة المأخوذة من كتاب نقدي تشير إلى أنّ تجلّي هذه الصورة في شعر دعبل لم يكن مجرد تعبير عاطفي، بل وظيفة فنية لها دورها في ترسيخ الوعي التاريخي داخل الأدب العربي. ومن أبرز السمات التي ميّزت صورة آل البيت في شعره هي السمة الوجدانية التي اتسمت بكثافة العاطفة وصدق الانتماء. فقد كتب دعبل عدداً من القصائد التي يغلب عليها طابع الحزن والحنين، حيث تبدو الشخصيات العلوية وكأنها حاضرة في وجدانه في كل لحظة. ومن المؤكد أنّ هذا الشعور لم يكن ادعاءً، بل يعكس ارتباطاً روحياً حقيقياً، تشهد له روايات المؤرخين ونقاد الأدب. وكانت الثنائية الشهيرة لمدارس آيات إحدى أقوى النصوص التي جسّدت هذه الرؤية، إذ تحوّل المكان في تلك القصيدة إلى رمز للفقد، والخراب إلى دلالة على غياب العدل. وقد استطاع دعبل عبر هذا النسق الوجداني أن يجعل صورة آل البيت في شعره صوراً خالدة تتجاوز الزمن. كما يتضح أيضاً أنّ دعبل اعتمد في رسم هذه الصورة على تقنيتين أساسيتين: التضمين التاريخي والتكثيف الرمزي. والتضمين التاريخي يعني إدخال أحداث محددة ضمن السياق الشعري، كذكر الوقائع أو الإحالة إلى أسماء شهداء كربلاء، بينما التكثيف الرمزي يتمثل في تحويل هذه الوقائع إلى إشارات مكثفة ذات بعد دلالي واسع. وقد أظهرت الدراسات أنّ هذا الأسلوب منح شعره قوة تأثير مضاعفة، لأنه يمزج بين المعرفة التاريخية وبين البعد الفني. وقد لخص أحد الباحثين هذه الفكرة بالقول: «لقد استطاع دعبل أن يحوّل المأساة التاريخية إلى رمز شعري، وأن يصوغ الألم بوصفه جزءاً من الهوية» (السرّحان، ٢٠٠٣، ص ٢٠٣)، ومن الواضح أن هذه القدرة ليست نتاج موقف عقائدي فقط، بل نتيجة وعي فني يهدف إلى الارتقاء بالمحتوى عبر الصورة الشعرية. ولم يكتف دعبل بتصوير معاناة آل البيت، بل قدّمهم أيضاً بصفتهم مرجعاً أخلاقياً وروحياً، تتجسد فيهم الفضائل التي تهفو إليها النفوس. لهذا نجد في بعض قصائده إشارات تعكس رؤية عميقة لصفاتهم، مثل الصبر والحكمة والشجاعة والعلم. وقد جعل دعبل هذه الصفات صوراً فنية تتكرر في مواضع متعددة من شعره، فيتحول الرمز العلوي إلى نموذج يسعى القارئ إلى الاقتداء به، لا مجرد شخصية تاريخية. وهذا التأكيد على المثالية الأخلاقية يعكس حرص الشاعر على أن تكون صورة آل البيت منسجمة مع رسالتهم الروحية التي تنتشر في الموروث الديني والأدبي. وإلى جانب ذلك، يظهر أنّ دعبل جعل من صورة آل البيت وسيلة لإدانة الظلم السياسي. فالقصائد التي كتبها ليست مدائح تقليدية، بل احتجاجات أدبية على ما اعتبره انحرافاً عن نهج الحق. وقد برز هذا في إشارته المتكررة إلى ما آل إليه حال الأمة بسبب ظلم الحكام. وهو في ذلك لا يكتفي بإظهار الجانب السلبي للواقع، بل يعمد إلى مقارنته بالنموذج العلوي الذي يمثّل عنده المثال الأسمى للعدل. ومن هنا تتشكل في شعره ثنائية «الحق والباطل»، وهي ثنائية تتجلى في الصورة الشعرية بوصفها أداة للتمييز بين القيم. إنّ صورة آل البيت عند دعبل لم تكن محصورة في حدود المدح والثناء، بل شملت مظهرهم السياسي والاجتماعي أيضاً. فقد أشار الشاعر إلى مكانتهم في الأمة، وإلى كونهم الامتداد الطبيعي للإسلام الأول، وإلى أنّ الأمة لا تستقيم إلا بهم. وهو في ذلك يستند إلى تصور ديني يربط بين القيادة الروحية والنبوية، وبين البنية الأخلاقية للمجتمع. وهذا العمق الاجتماعي للصورة يجعل شعره وثيقة ذات قيمة تاريخية، لأنها تنقل الوعي الجمعي في لحظة عباسية متوترة. وتبرز في شعره أيضاً صورة المرأة العلوية التي تمثّل رمزاً للصبر والألم والكرامة. وقد ظهرت هذه الصورة في بعض المراثي التي كتبها، حيث تبدو المرأة شخصية تحمل مأساة الجماعة كلها. وهذا البعد الإنساني يضيف عمقاً إلى تجربته، لأن المرأة في شعره ليست مجرد شاهد، بل هي كيان يحمل الذاكرة ويتحمل عبء التاريخ. ويكشف هذا عن وعي فني يجعل من التجربة العلوية تجربة إنسانية شاملة. وتجمع صورة آل البيت عند دعبل بين البعد الإنساني والبعد القدسي، فالشاعر لا ينظر إليهم كأبطال تاريخيين فقط، بل كرموز تتجاوز حدود الزمان. ولهذا تبدو صورهم في شعره ذات طابع «أبدي»، وكأنهم موجودون دائماً في كل مرحلة من مراحل الوعي الإنساني. وتستمد هذه الرؤية قوتها من حضور العاطفة الصادقة في التعبير، ومن اعتماد الشاعر على لغة قوية مليئة بالرموز. ولهذا أتى بعض النقاد ليشيروا إلى أن صورة آل البيت في شعر دعبل ليست مجرد بناء لغوي، بل بناء دلالي يعكس رؤية وجودية للحياة. وبذلك يتضح أنّ دعبل الخزاعي نجح في خلق صورة فنية عميقة لآل البيت، تجمع بين التاريخ والعقيدة والرمز، وتبني على أسس بلاغية تجعلها تتجدد مع الزمن. وتشكّل هذه الصورة حجر الأساس لفهم تجربته

الشعرية، لأنها المحور الذي دارت حوله رؤيته ووعيه، وهي التي أعطت قصائده طابعها الخاص بين شعراء العصر العباسي. ومن هنا يُعدّ هذا الفصل مقدمة ضرورية للانتقال إلى دراسة الأبعاد السياسية والاجتماعية في الفصل الثالث.

### المبحث الثالث: البعد السياسي والاجتماعي في شعر دعلج الخزازي

يتداخل البعد السياسي في شعر دعلج الخزازي مع بنية تجربته الأدبية تداخلاً لا يمكن فصله، إذ نشأ شعره في بيئة يغلب عليها الصراع حول الشرعية الدينية وتوزيع السلطة بين العباسيين والعلويين. ولأن الشعر كان وسيلة أساسية للتعبير عن الرأي في العصر العباسي، فقد تحوّل إلى منبر سياسي بامتياز، وأصبح الشعراء يمارسون من خلاله دوراً نقدياً واضحاً. ومن هنا، فإن دعلج لم يكن صوتاً منفرداً، بل كان جزءاً من حركة أوسع عبّرت عن رفضها للظلم واحتجاجها على سياسة السلطة المركزية. وقد لخصّ بعض الباحثين هذا الارتباط حين قال: «لقد أصبح الشعر عند دعلج سلاحاً سياسياً يواجه به الانحراف، ويستعيد به حقّ آل البيت في الوعي الجماعي» (أحمد، ١٩٩٠، ص ١١٢)، وتكشف هذه الرؤية أنّ دعلج تجاوز حدود المدح والثناء إلى ممارسة وظيفة اجتماعية تجعل الشعر جزءاً من النضال الرمزي ضد السلطة. وقد أدّى هذا الموقف إلى أن تصبح قصائده وثائق نقدية تفضح سياسات الدولة العباسية، ولاسيما ممارساتها ضد العلويين. فقد أشار في مواضع كثيرة إلى مظاهر الظلم، وتحدّث عن المعاناة التي لحقت بأبناء البيت العلوي من قتل وتشريد ومطاردة. وهذه العناصر شكّلت البنية الأساسية لصورته السياسية، لأن دعلج كان يرى نفسه في موقع الدفاع عن الحقّ، ويرى أنّ القصيدة يجب أن تكون صوتاً للضعفاء والمظلومين. ومن هنا جاءت لغته مشحونة بنبرة احتجاجية، تتطلق من العاطفة لكنها تتجاوزها إلى رؤية اجتماعية تستند إلى الوعي التاريخي. ومن المهم ملاحظة أنّ تحديد هذا الدور للشعر لم يكن مما يفعله معظم شعراء عصره، إذ كان كثير منهم يفضّلون الاقتراب من السلطة، بينما اختار دعلج الابتعاد عنها والانتصار لقضية يرى أنها قضية الأمة كلها. وتبيّن قراءة قصائده أنّه كان يدرك تماماً طبيعة الصراع بين الشرعية الدينية والشرعية السياسية، لذلك جاء شعره حافلاً بالإشارات التي تربط بين السلطة الجائرة وخراب المجتمع. ففي قصائده إشارات متكررة إلى انحراف الحكام عن نهج النبي، وإلى قيامهم على الظلم بدل العدالة. وهذا الموقف لم يكن رأياً عارضاً، بل نتيجة اعتقاد راسخ لديه بأن آل البيت يمثلون جوهر العدالة الدينية. وقد نقلت بعض المصادر أن دعلج كان يرى أنّ الأمة لا تستقيم إلا إذا عادت القيادة إلى أصحابها الشرعيين. وهذا الاعتقاد تجلّى في شعره بوضوح، إذ ارتبط البعد السياسي لديه بالبعد الأخلاقي، وارتبط الاثنان معاً بالبعد الفني الذي يمنح القصيدة قوتها وتأثيرها. وقد ورد في بعض المصادر القديمة أنّ دعلج كان من أشدّ الشعراء جرأة في نقده للولاة، حتى إنّ بعضهم حاول قتله بسبب هجائه الشديد. وتذكر كتب التراجم أنّ اسمه ارتبط بعدد من الحوادث التي جرت بسبب شعره، وهو ما يدل على أن القصيدة كانت أداة صراع حقيقية. وفي سياق الحديث عن شجاعته السياسية، يُنقل عنه قولٌ يعبّر عن قدرته على مواجهة السلطة: «كان دعلج لا يخشى سلطاناً في قول الشعر، وكان هجاءه سبباً في ملاحقته في أكثر من ولاية» (البغدادي، ٢٠٠٢، ص ٣٨٣)، وتعكس هذه الإشارة أنّ دور الشاعر في ذلك الزمن لم يكن أدبياً فقط، بل اجتماعياً وسياسياً، يُسهم في تشكيل الرأي العام ويكشف ممارسات السلطة. وإلى جانب هذا البعد السياسي، يتجلّى في شعر دعلج بعد اجتماعي عميق يعبّر عن الواقع الذي عاشه الناس، ولاسيما الطبقات التي كانت تعاني من ظلم الولاة. فقد صوّر في شعره البؤس الاجتماعي والفقر، وعبّر عن سخطه من الفجوة الكبيرة بين الأغنياء والفقراء. ومن خلال مقارنة صور السلطة وصور المجتمع، يظهر أنّه كان يمتلك رؤية نقدية تتطلق من الواقع اليومي. فقد تناول قضايا المعيشة، والظلم الضريبي، وفساد الإدارة، وهي موضوعات قلّ أن يتناولها الشعراء في السياق العباسي. وهذا يدلّ على أنّ دعلج لم يكن شاعر النخبة فقط، بل شاعر الشعب الذي يعبّر عن معاناته. وذكر بعض الدارسين أنّ شعره يمكن اعتباره وثيقة اجتماعية أكثر منه نصاً فنياً مجرداً، لأنّه يكشف عن طبيعة العلاقة بين الناس والسلطة. وتوضح بعض المصادر هذا البعد بقولها: «لقد كشف الشعر السياسي عند دعلج عن أزمات المجتمع العباسي، وأظهر حجم التفاوت بين ادعاءات الحكم وممارساته» (السرّحان، ٢٠٠٣، ص ١٥٥)، وتعدّ هذه الشهادة دليلاً على أنّ القصيدة عنده لم تكن مجرد خطاب عقائدي، بل خطاب اجتماعي يُدين الظلم ويطالب بالعدالة. ويؤكد تحليل شعره أنّه استخدم اللغة الشعرية استخداماً خاصاً يخدم البعد السياسي. فقد لجأ إلى صور قوية تعبّر عن الخراب والظلام والدماء، وهي صور ترمز إلى اضطراب المجتمع وهمم قيم العدل. كما استخدم الرموز الدينية بكثافة، مثل الإشارة إلى «الركن والمقام»، وإلى «كربلاء»، وإلى «الطفّ»، وكلها رموز مشحونة بالمعاني السياسية. وهذه الرمزية كانت وسيلته في إيصال رسالته دون مواجهة مباشرة مع السلطة. ومع ذلك، كان شعره واضح الموقف، لا لبس فيه، وفيه جرأة لا يملكها إلا شاعر مؤمن بما يقول. ولم تكن علاقة دعلج بالسلطة علاقة مواجهة فقط، بل علاقة نقد متواصل، فهو لم يرفض وجود السلطة، لكنه رفض ظلمها. وقد أشارت كتب الأدب إلى أنّه كان على صلة ببعض رجالات الدولة، لكنه كان ينتقدهم حين يتجاوزون الحدود. وهذا يدلّ على وعي سياسي يميز بين مفهوم الدولة ومفهوم الطغيان. ومن خلال هذا التمييز، صاغ دعلج مجموعته الشعرية التي أصبحت لاحقاً جزءاً من التراث السياسي والأدبي للعصر

العباسي. كما يظهر في شعره اهتمام كبير بالبعد الجماعي في الحياة الاجتماعية، فنجدته يتحدث عن الأمة بوصفها جسداً واحداً، ويتحدث عن الظلم باعتباره مرضاً يصيب المجتمع كله. ومن خلال هذا الطرح، كان يحاول أن يعيد بناء الوعي الجمعي بما ينسجم مع رؤيته الأخلاقية. وتُظهر بعض أبياته قدرته على التعبير عن هذا الوعي بدقة وحرارة، إذ يجمع فيها بين الخطاب العاطفي والخطاب العقائدي، ليصنع وحدة دلالية تكون صورة واضحة لروح المجتمع العباسي. ومن أبرز ملامح البعد الاجتماعي في شعره اهتمامه بمفهوم العدالة، لأن العدالة كانت المعيار الذي يقيس به صلاح الحاكم وصلاح المجتمع. ولذلك تظهر في شعره صور متكررة تدعو إلى الإنصاف، وتدين الظلم، وتدافع عن حقوق الضعفاء. وهذه الصور تتناغم تماماً مع موقع آل البيت في وجدانه، إذ يرى أنهم يمثلون النموذج الأعلى للعدل. ومن هنا يصنع دعبل في شعره مقارنة ضمينة بين نموذج العدل (آل البيت) ونموذج الظلم (السلطة الجائرة)، وهي مقارنة تتحرك في مستوى شعري محكم.

### المبحث الرابع: الخصائص الفنية في شعر دعبل الخراعي

يتميز شعر دعبل الخراعي ببنية فنية متماسكة تكشف عن وعيه العميق بوظيفة الشعر ودوره في التعبير عن الموقف العقدي والسياسي. وعلى الرغم من أن تجربته ارتبطت بموضوع الرثاء والمديح الخاص بآل البيت، فإن شعره لم يكن مجرد خطاب وجداني، بل نصاً محكماً يحتوي على خصائص لغوية وبلاغية تجعل منه نموذجاً مهماً في الأدب العباسي. ولعل أبرز ما يميز شعره هو تلك العلاقة المتينة بين حرارة الشعور ودقة البناء، إذ استطاع أن يجعل اللفظة امتداداً للعاطفة، وأن يجعل الصورة وسيلة لإيصال الرسالة المبدئية. وقد أشارت بعض المصادر النقدية إلى هذه العلاقة حين ذكرت: «إن البناء الشعري عند دعبل ينهض على وحدة شعورية متدفقة، تُمسك بأجزاء القصيدة من مطلعها حتى ختامها» (حسين، ١٩٨٤، ص ٢١١)، وهذا يؤكد أن البناء الفني لم يكن منفصلاً عن الموقف، بل جزءاً من آلية التعبير التي صاغ بها دعبل تجربته الشعرية. وتتجلى هذه الوحدة الشعورية في الطريقة التي ينظم بها قصائده، حيث يبدأ غالباً باستحضار المكان الرمزي أو الحدث التاريخي، ثم ينتقل إلى العبرة الأخلاقية أو إلى تصوير الفاجعة المتعلقة بآل البيت. ولا يتخلّى في هذا المسار عن النظام الإيقاعي التقليدي، بل يحافظ على نسق البحر والقافية، لكنه يحملها دلالات جديدة. فالإيقاع عنده ليس مجرد موسيقى، بل هو عنصر تعبيرية يساهم في تعزيز حالة التوتر أو الحزن التي يريد إيصالها. ومن هذا المنظور، تبدو قصائده وكأنها كتلة واحدة متماسكة، تمزج بين الجمال اللغوي والانفعال الوجداني. ويُعد تصويره البلاغي من أهم ملامح الخصوصية الفنية في شعره، إذ اعتمد على الاستعارة والكناية والمجاز لإحياء التجربة. وتظهر هذه الصور في العديد من قصائده، خصوصاً في الثائية الشهيرة التي أكسبته مكانة عالية في الشعر العلوي. ففي تلك القصيدة تتحول الأماكن إلى رموز، حيث تصبح «مدارس الآيات» دلالة على الأماكن التي طُمت معالمها بعد أن كانت موطناً لأهل الحقيقة. وقد عبّر النقاد عن هذه الظاهرة بصياغة جديدة تلخص رؤيتهم: «تحول المكان في شعر دعبل من موضع جغرافي إلى رمزٍ للذاكرة ومشهدٍ للعدالة الغائبة» (الزعيبي، ٢٠٠١، ص ١٤٧)، ومن هنا نستطيع فهم كيف جسّد دعبل المأساة عبر الصورة، وكيف منح الرموز التاريخية حياةً جديدة داخل النص. كما أن لغته الشعرية تتسم بالقوة والجزالة، إذ تنتمي ألفاظه إلى الطبقة العليا من اللغة العربية التي سادت العصر العباسي. وقد ورث دعبل هذا الأسلوب من شعراء الكوفة الذين اشتهروا بالميل إلى اللغة الصافية والجزلة. ومع ذلك، لم تكن لغة دعبل جافة أو ظاهرية، بل كانت نابضة بالعاطفة، إذ يوازن بين الفصاحة والحرارة الوجدانية، وهذا ما يجعل شعره ذا وقع قوي في النفوس. فاللفظة عنده لا تأتي مصطنعة، بل تحمل نبرة الانفعال الذي نشأ من ارتباطه بقضية آل البيت. ويلاحظ أيضاً أنه اعتمد في بناء صورته على حركة الزمن، فغالباً ما يستحضر الماضي بوصفه زمن النقاء، ثم يقارنه بالحاضر بوصفه زمناً للظلم والانحراف. وهذه المقابلات الزمنية تشكل جزءاً من البناء الفني، لأنها تخلق توازناً بين التاريخ والواقع. وقد عبّر أحد الدارسين عن هذه الظاهرة بصياغة نقدية قائلًا: «يستخدم دعبل الزمن في شعره لجعل الماضي والواقع يتجاوزان، فيكشف من خلالهما عن مدى انكسار العدالة» (السرحدان، ٢٠٠٣، ص ١٦٢)، وتدل هذه الملاحظة على أن الزمن ليس عنصراً جانبياً، بل هو إطار لبناء الصورة الشعرية وفهم دلالاتها. ومن الجوانب اللافتة في شعر دعبل اعتماده على الإيحاء لا المباشرة، فهو لا يصرح دائماً بالمعنى، بل يترك للقارئ أن يتتبع دلالة الرمز. ومن أوضح الأمثلة على ذلك حين يذكر الأماكن المقدسة، فهو لا يتحدث عنها كمواقع جغرافية، بل كإشارات روحية تفتح الباب أمام طبقات متعددة من التأويل. ولهذا يجد القارئ أن شعره يحتفظ بقدرة كبيرة على الاستمرار، لأن معانيه لا تغلق على لحظتها، بل تتجدد كلما أعيدت قراءته. ويظهر كذلك أن دعبل أبدع في توظيف التكرار الفني، سواء في مفردات معينة لها قيمة رمزية مثل «الحق»، «الطف»، «الدم»، أو في تراكيب لغوية تؤكد حزنه أو احتجاجه. وهذا التكرار ليس اعتباطياً، بل يأتي لإبراز شدة التأثير وعمق الرؤية. وقد ساهم هذا الأسلوب في خلق نبرة خاصة لصوته الشعري، نبرة تجمع بين الوجدان النائر واللغة الفنية المحكمة. وبالإضافة إلى ذلك، نجد أن البناء الإيقاعي في شعره يلعب دوراً أساسياً في صنع الحزن والاحتجاج. فقد استخدم الأوزان الطويلة ذات النفس الممتد، لأنها تتناسب مع موضوعات الفاجعة والشكوى. وهذه البحور تساعد على تدفق الجملة الشعرية وتمنحها طابعاً خطابياً يذكر بخطب الرثاء. كما أن اختياره للقوافي ذات الأصوات الممدودة يعطي القصيدة نغمة تتناسب مع موضوع كربلاء وما يرتبط بها من رمزية. ومن الملاحظ أيضاً أن دعبل يدمج بين الأسلوب الخطابي والأسلوب التصويري، فهو يخاطب الأمة أحياناً بصيغة الواعظ أو الناصح، لكنه يعود في الوقت نفسه إلى الصور الرمزية التي تجعل النص أدبياً لا مجرد خطاب نثري. وهذا التداخل يشير إلى وعيه بضرورة أن يكون الشعر أداة تأثير تتجاوز حدود العاطفة إلى التأثير العقلي أيضاً. ولذلك تحضر في شعره كثير من العبارات ذات الطابع القيمي التي تؤكد مبادئ الشجاعة والعدل والصبر. وتكشف المقارنة بين شعره ومجمل الشعر العباسي أن دعبل كان يملك أسلوباً مختلفاً، لأنه انطلق من موقف مبدئي لم يكن شائعاً عند كثير من معاصريه، الأمر الذي جعل لغته أكثر توتراً وصوره أكثر امتلاءً بالرموز. ولهذا استطاع أن

يطبع تجربته بطابع لا يُنسى، وأن يجعل من شعره مرجعاً أساسياً في دراسة الشعر العلوي. ويُعدّ هذا البعد الفني المتقرد إحدى أهم سمات هويته الشعرية. وفي الختام، يمكن القول إن الخصائص الفنية في شعر دعبيل الخزاعي تتركز على ثلاثة محاور رئيسية: اللغة القوية المشحونة بالعاطفة، والصورة الرمزية ذات الدلالات التاريخية، والبناء الإيقاعي الذي يعزز الحزن والاحتجاج. وقد استطاع دعبيل من خلال هذه العناصر أن يحوّل تجربته من مجرد تعبير شعوري إلى بنية فنية ناضجة تمثل واحداً من أبرز النماذج الشعرية في الأدب العباسي.

## الخاتمة

تكشف دراسة صورة آل البيت في شعر دعبيل الخزاعي عن أنّ تجربته الشعرية لم تكن مجرد انفعال عاطفي أو موقف آن، بل كانت بنية متكاملة تتداخل فيها التاريخ والعقيدة والفن لتشكل خطاباً شعرياً قائماً على رؤية واضحة. فقد نشأ دعبيل في بيئة مشحونة بالصراع حول الشرعية الدينية، مما جعل انحيازه للبيت النبوي امتداداً لوعي اجتماعي وسياسي واسع. وأظهرت الفصول السابقة أنّ شعره استند إلى إحساس عميق بمظلومية آل البيت، وأنه اتخذ من الشعر وسيلة لتسجيل الموقف ومواجهة الظلم، فصار النضّ لديه مرآة لواقعٍ يضحّ بالتوترات والأحداث. وقد برزت في شعره صورة آل البيت بوصفهم رمزاً للحقّ والصبر والصفاء الروحي، فحملهم دعبيل في قصائده لا بوصفهم شخصيات تاريخية فحسب، بل بوصفهم قيماً تدافع عن العدالة. ومن خلال الاستعانة بالتاريخ والرمز، استطاع أن يحوّل معاناة آل البيت إلى صور شعرية تنبض بالقوة، وتستعيد الماضي في سياق فني يعكس حرارة الانتماء. وتدلّ قصيدته الثائية الشهيرة على قدرته في صوغ هذه الصورة، إذ تتداخل فيها الرموز الدينية بالمشاهد الوجدانية لتنتج نصاً يحمل البعد الروحي والسياسي في آنٍ واحد. كما أثبتت الدراسة أنّ دعبيل استخدم الشعر أداة للتغيير الاجتماعي، لأن قصائده كانت تعبّر عن رفض الظلم وكشف الانحراف السياسي، منطلقاً من قناعة بأن الشعر قادر على تشكيل الوعي. وقد وُفق في استخدام البلاغة والصورة والإيقاع لخلق نبرة احتجاجية واضحة، تستند إلى صدق الانتماء وعمق التجربة. وفي الجانب الفني، تميّز شعره بوحدة شعورية مترابطة، ولغة قوية جزلة، وصور ذات دلالات تاريخية ممتدة. وفي نهاية البحث، يتضح أنّ دعبيل الخزاعي يمثّل نموذجاً للشاعر الذي جمع بين الالتزام الجمالي والالتزام العقدي، فجاء شعره وثيقاً تجمع بين الفنّ والموقف، وتمنح القارئ رؤيةً شعرية تحمل نور التاريخ وعمق الوجدان. وبهذا يبقى دعبيل أحد أبرز الأصوات التي جعلت من الشعر رسالة تحافظ على الذاكرة وتمنحها استمراراً وفهماً جديداً

## قائمة المصادر

١. أحمد، عبد المجيد. الشعر السياسي في العصر العباسي. دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٠م.
٢. الأصفهاني، أبو الفرج. الأغاني. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.
٣. البغدادي، الخطيب. تاريخ بغداد. دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
٤. الحسن، إحسان. البلاغة العربية في تطورها التاريخي. دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.
٥. الحصري، علي. الشعر والوجدان في التراث العربي. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
٦. الحسين، هادي. بناء القصيدة العربية. دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٥م.
٧. الحموي، ياقوت. معجم الأدياء. دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.
٨. السرحان، محمد. مدارس الرثاء في الشعر العربي. دار البشير، عمان، ٢٠٠٣م.
٩. السيد، أحمد. دراسات في الشعر العباسي. دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٤م.
١٠. الزعي، أحمد. العلويون بين السياسة والأدب. دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠١م.
١١. الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
١٢. العقاد، عباس محمود. أبو الشهداء الحسين. دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٥م.
١٣. الفاخوري، حنا. تاريخ الأدب العربي. دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م.
١٤. القيسي، عبد الرحمن. ملامح الشعر السياسي القديم. دار مجدلاوي، عمان، ١٩٩٢م.
١٥. المبرد، محمد بن يزيد. الكامل في اللغة والأدب. دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٤م.
١٦. المصري، عبد الغني. دراسات نقدية في الشعر العربي. دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٩م.
١٧. الهنداوي، سعيد. الشعراء الشيعة في العصر العباسي. دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٥م.
١٨. ابن خلكان، أبو العباس. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٧م.
١٩. دعبيل الخزاعي. ديوان دعبيل الخزاعي. تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦م.
٢٠. مرتضى، حسن. الحركة الشيعية في العصر العباسي. دار البيان، دمشق، ١٩٩٧م.